

## حركة الشباب المجاهدين: من وراء الستار



مقاتلو حركة الشباب في حفل تخرج في مكان مجهول

هذا المقال ترجمة لمقال نشره محمد حاج دوبلي، صحفي مستقل مقيم في نيروبي، كينيا.

## مقدمة

أثناء الحرب والنزاع، هناك دائماً فرق واضح وصارم بين الأخبار المروج لها والواقع على الأرض. في مثل هذه البيئة، تعتبر الدعاية أداة مفيدة للخداع في تكوين صورة أو وجهة نظر تهدف إلى تصنيف الخصم في نظر الجمهور على أنه تهديد وشيك يعد القضاء عليه أمراً ملزماً قانوناً.

في الصومال، كانت المعلومات المضللة في الموجات الإعلامية في زيادة مفرطة منذ ظهور اتحاد المحاكم الإسلامية في عام 2006. وازدادت شعبية وحدة المحاكم الإسلامية لأنها جلبت الاستقرار إلى مقديشو وخارجها من خلال هزيمة أمراء الحرب سيئي السمعة الذين رعتهم سفارة الولايات المتحدة في نيروبي، عاصمة كينيا.

لكن هذه المهلة القصيرة لظهور اتحاد المحاكم الإسلامية لم تدم طويلاً بعدما غزت القوات الإثيوبية وأطاحت بالاتحاد وأقامت حكومة انتقالية علمانية بموافقة ودعم إدارة بوش في أواخر عام 2006. وظهرت حركة الشباب المجاهدين، الجناح العسكري لاتحاد المحاكم الإسلامية، كمنافس قوي آنذاك، وأجبرت القوات الإثيوبية المدربة جيداً، على الانسحاب في حرب دموية استمرت من عام 2006 حتى أوائل عام 2009.

علو على ذلك، تطورت حركة الشباب على مر السنين. لقد بايعت تنظيم القاعدة مما جعل الصومال ساحة معركة جديدة للجهاد.

## إذن من هي حركة الشباب المجاهدين؟

بحسب وسائل الإعلام الدولية، هي منظمة إرهابية تستهدف المدنيين دون تمييز بتفجيرات انتحارية. تبتز السكان المحليين بلا رحمة بسبب الصعوبات المالية التي يقودها مجرمون أميون يخدمون أنفسهم، وهم مكروهون تماماً من قبل الشعب بشكل عام.

لكن، ما مدى دقة تصوير "حركة الشباب" الذي اعتدنا أن نسمعه؟

قلة من الصحفيين والباحثين تمكنوا من الذهاب إلى ما وراء الستار لكشف حقيقة ما يسمى بالجماعة "الإرهابية". وقد أصدرت تقارير ودراسات بحثية بدأت في إلقاء الضوء على حركة الشباب كمنظمة وعلى ممارساتها الإدارية.

## وكالة شباب السلامة العامة والخدمات الاجتماعية الأساسية

الصوماليون مجتمع قبلي متماسك، وقد كانت هذه البنية الاجتماعية مصدراً للعديد من الصراعات بسبب التنافس المستمر بين القبائل التي تميل إلى الاشتغال بسبب خطأ بسيط. أولاً، يأتي أعضاء حركة الشباب من جميع القبائل، الكبيرة والصغيرة على حد سواء، وقد تم تطهير شبح الكراهية القبلية بالآيات القرآنية التي نتج عنها أخوة قائمة على أساس ديني لا حدود لها. لديهم فهم عميق للقبائل المختلفة في مناطقهم؛ أراضى الأجداد، والتاريخ الإقطاعي الماضي، وقد أقاموا علاقة جيدة مع الزعماء القبليين الرئيسيين في كل قبيلة، وهي علاقة مهمة عند التعامل مع المظالم القبلية لتجنب العواقب غير المتوقعة.

لقد ملأت الحركة الفراغ الأمني بلافتة مألوفة، بعد أن رأى السكان المحليون الفرق بين الماضي والظروف الحالية، قبلوا بصدق إقبال حركة الشباب كقوة شرعية

دائمة، نتيجة لذلك، يفضل الكثير من الناس العيش في المناطق التي تسيطر عليها حركة الشباب المجاهدين، ليس فقط من أجل تدابير السلامة ولكن أيضاً من أجل منظومتها القضائية الشفافة المألوفة. ومع ذلك، كانت عملية بناء الثقة تدريجية وصريحة وواجهت صعوبات على مر السنين.

وقد أبلغت بعض وسائل الإعلام الدولية عن هذه الظاهرة من خلال تأكيد الحقائق المعروفة بالفعل للصوماليين وكذلك منظمات الإغاثة على الأرض. ورد في مقال نشرته صحيفة واشنطن بوست بعنوان "هذا هو السبب في أن حركة الشباب لن تختفي في أي وقت قريب" بقلم محللة مكافحة الإرهاب تريشيا بيكون، ورد فيها هذا عن حركة الشباب:

"علو على ذلك، فإن حركة الشباب غير فاسدة وفعالة نسبياً. يمكنك أن ترى ذلك بوضوح على الطرق التي تسيطر عليها، حيث تعمل نقاط التفتيش التي تتطلب مدفوعات محددة، وتقدم إيصالاً للركاب، وتحافظ على الطرق آمنة نسبياً"<sup>1</sup>

بالإضافة إلى ذلك، كان الصحفي المستقل أسيد حسين يمتلك الجرأة للسفر عبر منطقة حركة الشباب ونشرت مقاله صحيفة نيويورك تايمز بعنوان "بلاد والديّ، في قبضة الشباب".

"كانت الرحلة عبر بلد الشباب متوقعة. كان هناك شعور بالترتيب: كنت تعرف ما يمكن توقعه والمبلغ الذي يتعين عليك دفعه. لقد كان مدهشاً في بلد انهارت فيه جميع المؤسسات، حيث خنق الفساد كل شيء"<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> كارولين هوك. "نحن نجد صعوبة في الاحتفاظ بأراضي في الصومال"، ديفينس ون، 2 مارس 2018.

<sup>2</sup> تريشيا بيكون. "لهذا السبب لن يغادر الشباب في أي وقت قريب"، واشنطن بوست، 6 يوليو 2017.

لا يشكل القانون والنظام في مناطق سيطرة الشباب مفاجأة للسكان المحليين لأنه يطبق قانون العقوبات من الشريعة التي يقبلها الجميع بشكل كامل. وهو قانون يشمل مجموعة متنوعة من العقوبات بما في ذلك البتر والجلد العلني والرجم حتى الموت وما إلى ذلك. على الرغم من أن الغرب يعتبر هذه العقوبات غير إنسانية وبربرية، إلا أنها توفر السلامة العامة أفضل بكثير من أي نظام تأديبي آخر. قد تحتاج بعض الجرائم ببساطة إلى ملاحظات تحذيرية بينما يتم التعامل مع البعض الآخر بصرامة. فمثلاً، إذا ارتكب شخص ناضج وعاقل جريمة سرقة مع استيفاء شروط الفقه، يفقد يده اليمنى. الفكرة ليست ببتير أطراف الناس ولكن لردع الآخرين الذين لديهم العزم أو الطموح للتصرف بشكل إجرامي. وكحصيلة، فإن معدل الجريمة في أراضي حركة الشباب لا يكاد يذكر.

في المقابل، يشتهر جنود الحكومة الصومالية بالسرقة والابتزاز والاعتصاب والقتل غير المبرر من الممارسات الشائعة. حيث كتبت تريشيا بيكون:

"يتناقض هذا بشكل حاد مع الكيفية التي يدير بها الآخرون، بما في ذلك القوات الحكومية، الطرق المليئة بالافتراس والابتزاز المتكرر، الأمر الذي له تداعيات على السلامة والاقتصاد - كما سمعت مراراً وتكراراً من المواطنين ورجال الأعمال وعمال الإغاثة على حد سواء".<sup>3</sup>

وبالمثل، كتب أسد حسين هذا عن قوات الأمن الصومالية:

---

<sup>3</sup> كريستوفر أنزالون. "الرايات السوداء في الصومال" مارس 2018.

"فضل معظم السائقين الطرق التي يسيطر عليها الشباب على الطرق التي تسيطر عليها الحكومة. لقد رأوا جنود الحكومة الصومالية على أنهم جشعون وفاسدون وكان لهم اسم: "كالي أووس" أو "علي ذو البطن الكبير".<sup>4</sup>

أثناء وجوده في أفغوي، وهي بلدة تسيطر عليها الحكومة على مشارف مقديشو، كان أسد حسين خائفًا على حياته وممتلكاته.

"يمكنني استخدام هاتفي الذكي وتشغيل الموسيقى. كانت لدي حريتي. لكنني لم أكن متأكدًا من سلامتي".<sup>5</sup>

وبالمثل، يفيد تقرير مجموعة المراقبة التابعة للأمم المتحدة بشأن الصومال وإريتريا الصادر في نوفمبر 2017 عن مآزق يواجهه السكان المحليون خلال موسم الأمطار. ففي موسم الأمطار، تكون العديد من الطرق الترابية موحلة وغير صالحة للاستخدام حتى موسم الجفاف، وبالتالي يضطر المسافرون إلى المرور عبر بعض نقاط التفتيش التي تسيطر عليها الحكومة. وتفرض قوات الأمن الصومالية على السائقين رسوما باهظة مقابل تهربهم منها خلال موسم الجفاف.

استفادت السلطات المحلية والجهات المسلحة من الاستجابة للجفاف من خلال مضاعفة رسوم نقاط التفتيش ثلاث مرات في بعض المناطق. في أبريل 2017، تم حصار 60 شاحنة في وانلاوين، بمنطقة شابيلي السفلى، عندما حاولت قوات الأمن التابعة للحكومة الفيدرالية إجبار سائقي الشاحنات التجارية على دفع "المتأخرات" عن الأوقات التي استخدموا فيها الطريق البديل الذي تسيطر عليه حركة الشباب

<sup>4</sup> "تقرير عن الصومال"، مجموعة مراقبة الصومال وإريتريا، مجلس الأمن الدولي، نوفمبر 2017، ص 38.

<sup>5</sup> تريشيا بيكون. "لهذا السبب لن يغادر الشباب في أي وقت قريب"، واشنطن بوست، 6 يوليو 2017.

إلى بيدوا. وفضل السائقون في العديد من الأماكن طرق حركة الشباب حيث تم تكريم المدفوعات وإصدار الإيصالات وتجنب العنف المرتبط بقوات الأمن.<sup>6</sup>

كما لاحظ الخبراء، فإن قوات الأمن الصومالية هي ميليشيات قبلية غير مدفوعة الأجر تفتقر إلى الأخلاق لأداء واجباتها. يُعد الزي العسكري وسيلة بديلة لدفع الفواتير عن طريق سرقة الشعب تحت تهديد السلاح وخاصة المسافرين. لسوء الحظ، فشلت الحكومة في فهم أهمية التعليم المناسب والانضباط ومهارات القيادة، وكانت راضية إلى حد كبير عن إمكاناتها الحربية، وهو فشل يهدد وجود الحكومة الصومالية الضعيفة. وبالتالي، فإن السائقين والركاب على حد سواء يسلكون تحويلات طويلة على طرق ترابية غير معبدة لمجرد البقاء في المناطق الخاضعة لسيطرة الشباب لتجنب نقاط تفتيش قوات الأمن الصومالية.

بالإضافة إلى ذلك، أعرب السناتور الأمريكي جاك ريد، الذي زار مقديشو في 20 فبراير 2018، عن خيبة أمله في إدارة فارماجو، ووصفها بأنها:

"ينظر كثير من الناس إلى الحكومة على أنها فاسدة ولا تخدم غاياتهم"<sup>7</sup>

بصرف النظر عن السلامة العامة، توفر حركة الشباب الخدمات الاجتماعية الأساسية للسكان المحليين من خلال مختلف الولايات أو الإدارات المحلية. قالت تريشيا بيكون:

"أدارت حركة الشباب ديناميكيات العشائر ببراعة وقدمت الخدمات الأساسية بطرق جابت لها السلطة والنفوذ السياسيين في جميع أنحاء جنوب الصومال، وخاصة المناطق الريفية. حيث يشعر السكان بالقلق من الحكومة التي لا تزال هشة"<sup>8</sup>.

<sup>6</sup> "تقرير عن الصومال"، مجموعة مراقبة الصومال وإريتريا، مجلس الأمن الدولي، نوفمبر 2017، ص. 17.

<sup>7</sup> أليكس بيرى. "كينيا تغزو الصومال. هل تصبح أغني؟" 19 أكتوبر 2011.

قامت حركة الشباب ببناء البنية التحتية في البلدات والقرى الواقعة تحت سيطرتها مثل توفير الكهرباء والمياه النظيفة الجارية، وفتح المستشفيات والمدارس، وإعادة تنظيم الأسواق المحلية، وما إلى ذلك. وبفضل مواردها المحدودة، قامت حركة الشباب بتجديد الطرق وإصلاح الجسور وحفر قنوات المياه. والمفهوم في ذلك هو "الاعتماد على الذات" بدلاً من الاعتماد على المساعدة الإنسانية المسييسة. كما لخص كريستوفر أنزالون، خبير في حركة الشباب، مجموعة من الجهود الإدارية لحركة الشباب في مقال حديث بعنوان "الرايات السوداء في الصومال".

حيث قال: "تستمر الإدارة المدنية للحركة في عام 2018 في تنفيذ مجموعة متنوعة من أنشطة الحوكمة، بما في ذلك إدارة المحاكم الشرعية، وعقد اجتماعات مع زعماء العشائر، وتقديم المساعدات التي يتم جمعها كمؤسسة خيرية (الزكاة). كما أدار مديرو حركة الشباب معاهد ومدارس ودورات الشريعة لشباب العشائر والتجار والحرفيين، ونظموا عيادات صحية وتطعيمات متنقلة للناس والماشية".<sup>9</sup>

علاوة على ذلك، أفادت مجموعة المراقبة التابعة للأمم المتحدة بشأن الصومال وإريتريا 2017 أن حركة الشباب فعلت الكثير لمساعدة المحتاجين أثناء الجفاف:

"أطلقت حركة الشباب حملة دعائية جيدة لمواجهة الجفاف، وشكلت لجاناً إقليمية للجفاف، وفاعلت جناحها الإنساني التابع لها، جمعية الإحسان. في آذار / مارس 2017، أجرت الجماعة سلسلة من عمليات توزيع الغذاء والمياه البارزة في مناطق باي، وباكول، وجلجدود، وهيران، وشبيلي السفلى، ومدغ.<sup>10</sup>

<sup>8</sup> هيلين ابشتاين. "التفاوض مع الشباب سيخرج أمريكا من الصومال"، ذي أتلانتيك، 16 أكتوبر / تشرين الأول 2017.

<sup>9</sup> كريستين شيمر. "نجاحات وإخفاقات بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال (أميصوم)"، 30 مارس، 2017.

<sup>10</sup> هيلين إبشتاين. "التفاوض مع الشباب سيخرج أمريكا من الصومال"، ذي أتلانتيك، 16 أكتوبر / تشرين الأول 2017.

حتى الأمم المتحدة أقرت بأن استجابة حركة الشباب كانت سريعة وفعالة في تغطية مساحات شاسعة من الأراضي بميزانية "حصالة" في إشارة إلى محدودية ميزانيتها.

## النظام القضائي

كما أشار الخبراء، فإن السكان في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة يسافرون من أجل المحاكم الشرعية لحركة الشباب. ذكرت تريشيا بيكون ما يلي:

"تقدم حركة الشباب قدرا من الأمن في المناطق الواقعة تحت نفوذها. وهي تدير المحاكم، بما في ذلك المحاكم المتنقلة، لمعاقبة الجرائم وحل النزاعات. هذا مهم بشكل خاص في منطقة مليئة بالنزاعات المحلية، وخاصة النزاعات على الأراضي، وقليل من الطرق الفعالة لتسويتها، باستثناء العنف. بينما تركز التقارير الإعلامية على عقوبات الشريعة القاسية التي تفرضها حركة الشباب، يسعى بعض الصوماليين إلى اللجوء إلى محاكم الشباب، مدركين أنهم سيصدرون حكماً شاملاً نسبياً وسيفرضون هذا الحكم".<sup>11</sup>

أيضاً، أفاد تقرير مجموعة المراقبة التابعة للأمم المتحدة بشأن الصومال وإريتريا في نوفمبر 2017 عن نفس الخدمة التي توضح أنه بدلاً من كره وخوف حركة الشباب، فإن الصوماليين يبحثون عنها بالفعل.

---

<sup>11</sup> كين مينخوس. خطاب ألقاه في مدرسة ماكسويل بجامعة سيراكيز، الدقيقة 56، 2016.

"ظلت محكمة الشباب في أفغوي هي السلطة القضائية بالنسبة للكثيرين فيما يتعلق بالنزاعات على الأراضي، حتى في مقديشو".<sup>12</sup>

وفيما يتعلق بالمحاكم الشرعية، هناك سببان مهمان يدفعان الناس للذهاب إلى هناك. أولاً، يذهب الصوماليون إلى المحكمة الشرعية في تسوية نزاعاتهم وخلافاتهم لأنهم يعتقدون أن الشريعة مبنية على الوحي الإلهي الخالي من العيوب والتحيزات البشرية. ثانياً: ينظر الصوماليون إلى حركة الشباب على أنها جماعة شرعية إسلامية تتبع خطى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون أن أي عيوب تنشأ أثناء المحاكمة ليست بسبب الإسلام بل لعيوب بشرية واجتهاد الفرد وتفسيراته. وتكمن الجاذبية في حياد المحكمة وشفافيتها وعدالتها، ومن المثير للاهتمام أن شعبية المحاكم قد وصلت إلى ما وراء حدود الصومال. حيث تم الإبلاغ عن أن المدعين جاءوا من البلدان المجاورة وبعضهم من مناطق بعيدة مثل أوروبا. وبالتالي، تتمتع حركة الشباب بموافقة إيجابية بين السكان المحليين.

**إذن، لماذا يذهب الصوماليون إلى محاكم حركة الشباب بدلاً من المحاكم التي تديرها الحكومة؟** محاكم الحكومة الصومالية مليئة بالفساد وتفتقر إلى الموضوعية في مداولاتها. إذا تغلبت الحكومة بطريقة ما على ممارساتها الاحتياطية واكتسبت ثقة شعبها، فستظل تفتقد العنصر ذاته الذي يجذب الناس إلى محاكم حركة الشباب: إنها الشريعة. وبدلاً من كسب قلوب وعقول مواطنيها، أصدرت الحكومة الصومالية تحذيراً خطيراً من مثل هذه الرحلات إلى محاكم الحركة.

<sup>12</sup> تريشيا بيكون. "لهذا السبب لن يغادر الشباب في أي وقت قريب"، واشنطن بوست، 6 يوليو 2017.

وفي الوقت نفسه، لم تفعل شيئاً لردع الشعب عن الذهاب إلى مناطق حركة الشباب طلباً للعدالة.

## الأخلاقيات العسكرية

في وسائل الإعلام، توصف حركة الشباب بأنها جماعة إرهابية تقصف عشوائياً المدنيين والعسكريين على حد سواء بالعمليات الانتحارية أو العبوات الناسفة. ومع ذلك، وفقاً لدراسة حديثة أجراها مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت بعنوان "الإرهاب المستهدف: المفجرون الانتحاريون لحركة الشباب"، كتبها جيسون وارنر وإلين تشابن، تُظهر أن حركة الشباب تستهدف بشكل صارم قوات الاتحاد الأفريقي الصومالية. والذين يخدمونهم وراء الكواليس. درست ورقة الباحثين عمليات حركة الشباب على مدار العقد الماضي، ومن الواضح أنها تدحض الفكرة السائدة على نطاق واسع بأن حركة الشباب تستهدف المدنيين. حيث يقول التقرير:

"كما يفصل القسم اللاحق، نؤكد أن حركة الشباب تعتمد على المفجرين الانتحاريين من أجل إحداث أقصى قدر من الدمار للأفراد والمؤسسات - لا سيما من خلال اغتيال أفراد معينين - مع تجنب استهداف المدنيين بشكل عام وعدم السعي صراحة لتوليد ثقافة الصدمة. والرهبنة".<sup>13</sup>

"ويعبر بوضوح عن أن حركة الشباب تتجنب المناطق التي يسكنها غير المقاتلين.

<sup>13</sup> كريستوفر أنزالون. "الرايات السوداء في الصومال" مارس 2018.

تُظهر بياناتنا أن حركة الشباب تتجنب إلى حد كبير الهجمات الانتحارية العشوائية على المدنيين والأماكن المدنية".<sup>14</sup>

تستمر الدراسة في محاولة شرح الأساس المنطقي وراء هذه "الظاهرة":

"أحد الأسباب المنطقية لميل الشباب إلى عدم الاستهداف العشوائي للمدنيين يكمن في حقيقة أن الجماعة تسعى لتكون بمثابة بديل عملي للحكم الشرعي للحكومة الصومالية".<sup>15</sup>

ووفقًا للدراسة، فإن المنطق الثاني هو أن حركة الشباب تتبع أخلاقيات الحرب الصارمة لتنظيم القاعدة والتي تحظر الأهداف المدنية على عكس التصور الشائع بأن القاعدة تشجع الذبح بالجملة لأولئك الذين لا يتفوقون معها من الناحية الدينية. ومن المثير للاهتمام أن الدراسة تعرض بعض عقيدة القاعدة الحربية التي يجب على المنتسبين إليها الالتزام بها:

1. بشكل عام، تجنب القتال أو استهداف أولئك الذين لم يرفعوا السلاح ضدنا أو ساعدوا في أي عمل عدائي من هذا القبيل، والحفاظ على التركيز بشكل أساسي على التحالف الصليبي ثم على بدائلهم المحليين.

2. الامتناع عن القتل والقتال ضد النساء والأطفال غير المقاتلين، وحتى لو كانوا عائلات من يقاتلنا، الامتناع عن استهدافهم قدر الإمكان.

<sup>14</sup> هيلين ابشتاين. "التفاوض مع الشباب سيخرج أمريكا من الصومال"، ذي أتلانتيك، 16 أكتوبر / تشرين الأول 2017.

<sup>15</sup> جايسون وارنر والين تشابين. "الإرهاب المستهدف: مفجرو الشباب الانتحاريون" فبراير 2018، ص. 16.

3. الامتناع عن إيذاء المسلمين بالتفجيرات أو القتل أو الخطف أو إتلاف أموالهم أو ممتلكاتهم.

4. الامتناع عن استهداف الأعداء في المساجد والأسواق والتجمعات التي يختلطون فيها بالمسلمين أو بمن لا يقاتلوننا.<sup>16</sup>

تحظر المبادئ الإسلامية بشكل صارم سفك دماء الأبرياء، وبالنسبة لجماعات مثل الشباب، الآيات القرآنية تفوق أي اعتبارات سياسية.

### فشل النهج العسكري

ليس لدى الولايات المتحدة سياسة خارجية محددة جيداً بشأن الصومال، لكنها تعتمد على أسلوب التجربة والخطأ الذي أدى إلى نتائج عكسية في أوقات مختلفة بالفعل. منذ انهيار حكومة سياد بري، شهدت الصومال وجود قوات أجنبية على أراضيها وكانت النتيجة دموية باستمرار. كتب "أليكس بيري أوف تايم" مقالاً مثيراً للاهتمام بعنوان "كينيا تغزو الصومال. هل تصبح أغبي؟" والتي لخصت سجل الصومال مع القوات الغازية.

شهدت السنوات العشر من الماضية أيضاً ظهور الصومال بسجل ثابت بشكل خاص في التهام أي شخص يصل حاملاً مسدساً، بما في ذلك قوات العمليات الخاصة التابعة للأمم المتحدة والولايات المتحدة (1992-3) والإثيوبيون (2006-9)

<sup>16</sup> المرجع السابق، ص. 19.

والأوغنديون والبورونديون من قوة حفظ السلام التابعة للاتحاد الأفريقي (2008 - اليوم).<sup>17</sup>

يتفق الخبراء بالإجماع على أن قرار غزو الصومال بالقوات الإثيوبية ربما كان أسوأ قرار للسياسة الخارجية للولايات المتحدة على الإطلاق في بلد أفريقي، وحصلت حركة الشباب على الدعم الذي تشتد الحاجة إليه من الصوماليين الذين أرادوا بشدة طرد الإثيوبيين من أراضيهم. كتبت هيلين إيبستين، الأستاذة الزائرة في كلية بارد، مقالاً نُشر في الأطلنطي بعنوان "التفاوض مع الشباب سيخرج أمريكا من الصومال"، عرضت فيه النتيجة الكارثية للغزو الإثيوبي.

"بعد ذلك، اقتنعت إدارة بوش، ربما بشكل غير صحيح، أن اتحاد المحاكم الإسلامية كان يحمي عناصر القاعدة المسؤولين عن تفجيرات السفارة الأمريكية في كينيا وتنزانيا عام 1998، وأرسلت سفناً بحرية ومدفعية أخرى لمساعدة القوات الإثيوبية أثناء تقدمها في تسوية مقديشو على الأرض، مما تسبب في فرار ثلاثة أرباع سكانها"<sup>18</sup>.

بعد فترة وجيزة من غزو الإثيوبيين للصومال في عام 2006، لم تستطع الولايات المتحدة تحمل مستنقع آخر لبناء الدولة كما فعلت في عام 1992، لذلك كان تجميع القوات الأفريقية كقوات حفظ سلام مثاليًا على الصعيدين السياسي والمالي. وفي أوائل عام 2007، ظهرت البعثة الأفريقية في الصومال (أميصوم) إلى حيز الوجود. على مر السنين، أظهرت قوات حفظ السلام التابعة لبعثة الاتحاد الأفريقي ألوانها

<sup>17</sup> المرجع السابق، ص. 19.

<sup>18</sup> المرجع السابق، ص. 20.

الحقيقية. تذكر كريستين شيمر بعض التكتيكات التي استخدمتها بعثة الاتحاد الأفريقي لدى وصولها.

"طوال الفترة 2008-2010، تعرضت مواقع بعثة الاتحاد الأفريقي في مقديشو في كثير من الأحيان لإطلاق النار من قبل حركة الشباب. وغالباً ما ردت قوات الاتحاد الأفريقي على هذه الهجمات بنيران الأسلحة الصغيرة وقذائف الهاون العشوائية على المناطق المأهولة بالسكان المدنيين".<sup>19</sup>

مرة أخرى، تذكر هيلين إيشتاين بعض انتهاكاتهم العنيفة:

"ارتكبت قوات بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال، ولا سيما القوات الأوغندية، انتهاكات عديدة لحقوق الإنسان، بما في ذلك الاعتداء الجنسي على الفتيات والنساء الصوماليات، ومن المعروف أنها قوات فاسدة. غالباً ما يتقاضون رواتب منخفضة لأن حكومتهم الفاسدة هي نفسها تخفض رواتبهم أو لا تدفعها على الإطلاق...".<sup>20</sup>

يصف الخبير في شؤون الصومال، كين ميندوس، الأستاذ في كلية ديفيدسون، معضلة حقيقية: الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي غير راضين عن الأداء العسكري الضعيف لبعثة الاتحاد الأفريقي على الأرض، وانتهاكات حقوق الإنسان. ومع ذلك لا يمكنهم الاستغناء عنها.

"يمثل الاتحاد الأفريقي مشكلة من نواح كثيرة في الصومال. لقد كان مسيئاً في بعض الأحيان تجاه السكان المحليين، ولم يعد موضع ترحيب من قبل معظم السكان بعد الآن ومع ذلك لا يمكننا الاستغناء عنه".<sup>21</sup>

<sup>19</sup> كريستين شيمر. "نجاحات وإخفاقات بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال (أميصوم)" ، 30 مارس 2017.

<sup>20</sup> هيلين إيشتاين. "التفاوض مع الشباب سيخرج أمريكا من الصومال"، ذي أتلانتيك، 16 أكتوبر / تشرين الأول 2017.

<sup>21</sup> كين مينغوس. خطاب ألقاه في مدرسة ماكسويل بجامعة سيراكيوز ، الدقيقة 56 ، 2016.

وبعبارة أخرى، يجب أن يستمر الشعب الصومالي في تحمل وطأة انتهاكات بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال بشكل سلبي. لقد صنفت إدارة ترامب الصومال على أنها "منطقة أعمال عدائية نشطة" مثل أفغانستان دون النظر في نتائجها النهائية. وقد أدى هذا التصنيف إلى تضخيم بؤس الصوماليين، وكان بالتأكيد غير فعال ضد حركة الشباب التي أظهرت سجلاً ثابتاً في تجاوز أنواع مختلفة من العمليات العسكرية. قالت تريشيا بيكون هذا عن هذا الأمر:

"تعمل الولايات المتحدة على زيادة وجودها العسكري وتوسيع قواعد الاشتباك في الصومال لمواجهة حركة الشباب. في 11 يونيو / حزيران، نفذت الولايات المتحدة أول ضربة لها بموجب هذه القواعد الجديدة، ودمرت مركز تدريب وقيادة للشباب، ثم نفذت ضربة ثانية في 2 يوليو / تموز، ولا تزال ضربة ثالثة في 4 يوليو / تموز. حثت إدارة ترامب وزارة الدفاع على تصنيف الصومال على أنها "منطقة أعمال عدائية نشطة"، مما يسمح للولايات المتحدة بشن ضربات هجومية لا تتطلب فحصاً بين الوكالات.<sup>22</sup>

كما ذكر بعض الخبراء، فإن الآثار طويلة المدى لهذه السياسات القصيرة النظر مثل النهج العسكري القاسي قد ألهمت الموقف بسبب تزايد الخسائر في صفوف المدنيين، وولدت تأثيراً معاكساً تماماً. وقد لاحظ كريستوفر أنزالون إحدى المآسي العديدة الأخيرة لسياسة ما بعد ترامب، حيث قال:

"كما أن الضربات العسكرية الأمريكية المتزايدة في البلاد تهدد بتأجيج التوترات المحلية وزادت من فرص تأثر المدنيين الصوماليين سلباً وحتى قتلهم، كما حدث في غارة مشتركة بين الحكومة الصومالية والولايات المتحدة في باريري في

<sup>22</sup> تريشيا بيكون. "لهذا السبب لن يغادر الشباب في أي وقت قريب"، واشنطن بوست، 6 يوليو 2017.

أغسطس 2017 والتي أسفرت عن مقتل 10 مدنيين. بينهم أطفال واشعلت التوترات بين الحكومة الصومالية وقبيلة كبيرة ومؤثرة، إنها قبيلة هبر جدر / هوية".<sup>23</sup>

خلاصة القول هي أن القوة الغاشمة تعني المزيد من البؤس للشعب الصومالي. حيث صرحت هيلين إبشتاين:

"إذا كان هذا يعني المزيد من القوة النارية، فهذا يعني المزيد من البؤس للشعب الصومالي وجيرانهم الإقليميين. أكثر من عقد من القوة النارية المكثفة والتكتيكات العسكرية اللامعة في بعض الأحيان من جانب بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال لم تجعل الصومال أو جيرانها أكثر أماناً. في الواقع، ازدادت الفوضى فحسب".

## خاتمة

تركت الحرب الأهلية والصراع الداخلي انطباعاً قوياً لدى الصوماليين، وبعد أن فقدوا كل أمل، استحوذ الكثيرون على هويتهم الدينية التي تتجاوز كل الحواجز القبلية. بالنسبة للكثيرين، أصبحت الشريعة بمثابة ملاذ آمن ضد العدوان والعنف. توقف القتال، ونسيت الضغائن القبلية، وتحول العداة إلى صداقة، وصار الشباب حاملون للبشارة. منذ ذلك الحين، اعتبرت الشريعة وسيلة أمان. لقد أصبحت مصدراً للسلام في أرض يسودها العنف، لقد عالجت الجراح بالآيات القرآنية، وأنهت ربع قرن من سفك الدماء في غضون أيام بينما لم يستطع العالم القيام بذلك منذ سنوات. ويرى الكثيرون أن الشريعة هي الطريقة الوحيدة التي يمكن للصومال من خلالها تجاوز الصعوبات الحالية بعد أن شاهدوا فعاليتها الديناميكية، وهي نظام يمكن أن يعالج الاضطرابات القبلية في الصومال بشكل فعال.

<sup>23</sup> كريستوفر انزالون. "الرايات السوداء في الصومال" مارس 2018.

تحاول أمريكا، التي فقدت علانية تسامحها الديني في 11 سبتمبر 2001، شن حملة مضادة للقضاء على الشريعة الإسلامية التي توفر السلام في الصومال من خلال دعم أعمى لحكومة علمانية توصف بأنها "... فاسدة ولا تخدم غاياتها" من قبل أولئك الذين أوجدوها.

من الواضح أن العلمانية لن تتجسد في مواجهة مقاومة الشعب، وليس أن الصوماليين لا يعارضون الإصلاح، لكن المخطط المقترح لا يتوافق مع المبادئ الإسلامية. وتثير العلمانية الخوف من فقدان أسلوب حياتهم التقليدي، والموقف المتحيز الذي يمكن أن يقوض أو يفسد الأخلاق الإسلامية، والقلق من التشوه الثقافي من خلال إدخال أنماط غريبة من شأنها أن تغير العادات المحلية تدريجياً. وبالنسبة للكثيرين، الصومال يسير على الطريق الصحيح، ولكن قد تكون تداعيات التدخل العسكري الحالي، هي في أنه لا يمكن لأي قوة أن تقتل شغف الناس بالشريعة.

هناك فجوة واسعة بين الدعاية والواقع في الصومال كما وثق العديد من الخبراء، مشيرين إلى أن حركة الشباب ليست وحشاً متعطشاً للدماء ولكنها منظمة تقاتل من أجل قضية حقيقية: إعادة إرساء الشريعة الإسلامية في الصومال، وهي قناعة تحظى بشعبية كبيرة بين الصوماليين. بالإضافة إلى ذلك، هي توفر الأمن العام والخدمات الاجتماعية الأساسية ونظاماً قضائياً عادلاً وبرامج تعليمية للصوماليين من جميع القبائل. ويدعي البعض أن حركة الشباب تستفيد من عجز الحكومة الفيدرالية الصومالية عن ممارسة سلطتها وقد قامت بذلك بسد الفجوة. بينما في الواقع، فإن قوات الأمن الصومالية هم الإرهابيون المسلحون والمناطق التي تسيطر عليها حركة الشباب هي الملاذ الآمن لمن يفرون منهم.

أخيراً، كما هو موثق في الدراسة البحثية لـ "ويس بوينت"، لا تستهدف حركة الشباب المدنيين عن قصد، بل تستهدف فقط أولئك الذين تعتبرهم غزاةً أجنبياً وحلفائهم المحليين.

وخلصة القول، إن هذا المقال محاولة لإعطاء القراء لمحة عن الحقيقة من وراء الستار من خلال النظر إلى حركة الشباب بمشاهد واقعية، ولقطات من انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال، والوحشية التي ارتكبتها القوات الحكومية الصومالية والتي تحققت منها مصادر غربية، وسياسة الولايات المتحدة غير المثمرة بشأن المزيد من القوة النارية في الصومال. نأمل أن يتم إزالة الكثير من الضباب الذي يخفي حقيقة الواقع في الصومال، وذلك من خلال الجهود المتزايدة من قبل الصحفيين والباحثين غير المتحيزين.

تخوض الولايات المتحدة حرباً مع جماعة أيديولوجيتها متأصلة بالعقيدة الإسلامية، ويبدو أنها ستكون في هذا الماراثون لسنوات عديدة قادمة. وإذا كان هناك من أمل في التحدث إلى الشباب على الإطلاق، على الرغم من أن ذلك قد يبدو بعيد المنال، فيجب على الولايات المتحدة أن ترى من وراء الستار الذي وضعته، وبالمثل، يجب أن تقبل وجود صوماليين يتمنون العيش في ظل دستور "شريعة" فرضها الله تعالى.

محمد حاج دوبلي

صحفي مستقل مقيم في نيروبي، كينيا

